رد اولي على كتاب "لا سلام بغير دولة فلسطينية حرة" لمحمد ابو شلباية

الدكتور عدنان العمد

هذا الكتاب هو أول كتاب سياسي يصدر في القدس العربية منذ الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ . وقد صدر الكتاب في اواخر العام الماضي (٨٦ صفحة) والمؤلف محمد ابو شلباية ربما يكون الاسم الوحيد المعروف من بين المعلقين السياسيين العرب في الجرائد العربية الصادرة تحت الاحتلال مثل جريدة القدس وهي جريدة الجهاد سابقا وقد جرى بعد الاحتلال تعديل كبير على هيئة تحريرها واتجاهها واسلوبها . وقد سبق لمحمد ابو شلباية ان قدم العديد من الاراء التي طرحها في الكتاب في عدة مقالات وتعليقات في جريدة القدس وجريدة الانباء (وهي جريدة تصدر بالعربية في المناطق المحتلة قبل عام ١٩٦٧) وقد دارت هذه المقالات والتعليقات حول موضوع « دولة فلسطينية » في المناطق المحتلة متعايشة مع دولة اسرائيل وقائمة على أساس الانتخابات المحلية او على اساس وجود تجمع فلسطيني سياسي داخل المناطق المحتلة يستطيع الى حد ما تمثيل الشعب الفلسطيني والتعبير عن مشاكله وتطلعاته نحو المستقبل ، لهذا فان الكتاب يبدو للقارىء الذي سبق واطلع على تعليقات ابو شلباية وكأنه اعادة لهذه الآراء على شكل كتاب . ومحور هذه الاراء يدور حول فكرتين اساسيتين هما : ١) ان الشعب الفلسطيني شعب مخدوع عربيا ودوليا وان جميع الاطراف تتآمر على مستقبله ومصيره وانه لغاية الان لم تتوفر له فرصة للاختيار او لتقرير المصير . ٢) بعد سلسلة الهزائم العربية والفلسطينية ليس هنالك من طريق للشعب الفلسطيني سوى تشكيل دولة في المنطقة المحتلة عام ١٩٦٧ على ان تكون هذه الدولة متعايشة ومتصالحة مع اسرائيل ومستقلة مرحليا عن الاردن وباقي الدول العربية .

حول هاتين الفكرتين يقدم ابو شلباية تشكيلة من الاراء السياسية والاجتماعية والعسكرية تتراوح بين « عقد سلام متكافىء وحر وقائم على نيل كل ذي حق حقه المشروع » (ص ٦) وبين « قيام اتحاد الجمهوريات العربية الذي سيضم الدولة الفلسطينية وجميع الدول العربية ودول الاقليات القومية في الوطن العربي كاليهود في فلسطين والاكراد في العراق والزنوج في السودان والبربر في دول المغرب العربي » (ص ٨٦) . وحول فكرة عقد السلم المتكافىء وفكرة قيام اتحاد الجمهوريات العربية يضم الكتاب خمسة فصول هي : اقامة دولتين في فلسطين ، ماعز وضان ، تسليم الضفة، المنظمات الفلسطينية ، ماذا يريد الفلسطينيون . وسوف نستعرض ونحلل هنا ما تحتويه هذه الفصول ، ليس فقط من أجل معرفة ماذا يقول الكاتب ولكن ايضا لاظهار الهوة الفكرية العميقة التي تفصل بين تفكيره ومعالجته للمشاكل المطروحة — باعتباره احد الذين يعيشون الاحتلال يوميا — وبين تفكير ومعالجة قيادة الثورة الفلسطينية لهذه المشاكل — باعتبارها القيادة التي تعيش نضال الشعب الفلسطيني يوميا وتقود هذا النضال في مناطق التشرد واللجوء منذ عام ١٩٦٧ .

وربما يساعدنا هذا الاستعراض الى تبين أسباب ودوافع هذه الهوة ، هذا اذا اعتبرنا ابو شلباية يمثل وزنا سياسيا لفئة او طبقة من الفلسطينيين الذين دفعتهم ظروف النكسة الى اليأس والانهزامية وقبول الامر الواقع حيث يبدو لهذه الفئة ان تغيير